ولاشكّ، كان أبي أحد ضحاياه الأبرياء. أصابه أحدهم برصاصة في رجله، نقلوه إلى المستشفى، سقطت صورة عبد الكريم قاسم من جيبه، فامتنع الطّبيب عن معالجته حتىٰ تسمّم الجرح ومات. كنت في الرّابعة من عمري. أمّا أخي فلم يكن قد وُلد بعد. هذا الموقف يفسّر لك ما ألنا إليه.

قلت بابتسامة مغيّراً جو الكآبة والذّكريات القاتمة التي سيطرت على المكان: لم أفهم كيف سيثأر أخوك لأبيك؟!

ـ يأخذ من مهنته روحها وإنسانيّتها ويقدّم ما يستطيع تقديمه لمساعدة المحتاجين.

ـ لن يكون فاعلاً في هذا الجو المشحون بالمنفعة والكسب غير المشروع.

ـ أعرف أخي جيّداً. سيفعل!

ـ لن يَدَعوه.

ـ يقاتل عندئذٍ من أجل مبادئه.

ـ كلام شباب. الحياة شيء آخر.

نظر إليّ نظرة عميقة وسألني: وأنت لماذا تسعى لمساعدة الآخرين؟ لماذا تريد مساعدتي مثلاً؟!

قلت وقد فاجأني السّؤال: أنا شيء آخر، جيل قديم. مازلت

فضـــــــــــــــــــاءات مالك الحزين

١ ـ الوردة اليابسة

ربّما.
أفتحُ البابَ لي
أَلمحُ الوجدَ في هدأةِ الحاجبينْ
ربّما.
أُنهضُ الشعرَ أو أُعثرُ الوزنَ في المقلتينْ
ثمَّ أَغرقُ في الحلمِ:
«بيتي، هنا، وردةٌ
نادمتْ لونَها.
والفراشاتُ أجنحةٌ من نُضارْ.
والصباباتُ مملكةٌ من ندى،
تحملُ الآسَ، والنَّبعَ، والقافلهْ.
والطّريقْ،
زَنبقيُّ الخطىٰ،
والخطىٰ نبأةٌ
فالضحىٰ
سيّدُ النُّور، ملقًى علىٰ جبهةٍ
لامستْ خفقةَ الصَّومِ والنّافلهْ.
هاهنا، يخلعُ الماءُ أرديةَ الحزنِ والأسئلهْ
مثلما تخلعُ الرُّوحُ أثوابَها
● يا صغيري،
تقولُ التي غادرتْ عشَّها في رياحِ الشّتاءِ:
«أبتنِ البيتَ من حُلَّةِ العنكبوتْ
تضطجعْ وردةُ الأسيجهْ
غابةٌ من كروم العشيّات والحلمة الدافئهْ.
يا صغيري.. هنا أستودعتْ ثديَها الأرضُ
فالمورقونْ
من دمي، يفتحون القوافي التي غادرتْ رحمَها
أبتنِ آلـ...».
وانتضىٰ وجهُها سُوْرَةَ البرتقالْ.
●● رفّةَ الآسِ والبرتقالْ
كيفَ خلّفتِ لي
زهرةً في إناءْ؟
● مُرَّ بي
فالمساءْ،
متعبٌ.. آهِ من ضِلّةِ الرُّوحِ في جنون السؤالْ
مُرَّ بي
●● ربّما..
ربّما ينهضُ الحلمُ في نفحةٍ من حنينْ
ربّما..
نلتقي بينَ بينْ.

٢ ـ الهبوط

أقولُ لسربِ القطا:
أَعِرْني جناحاً
أَمتْ بين وقعِ خطىٰ صبيتي الزُّغبِ، نضوَ حَمَامْ
ينوح علىٰ إلفِه.
أقولُ لسربِ القطا: إنَّ وجهيَ بعضُ رحيلِ النَّدىٰ.
آهِ.. يا ضَلّةَ الرُّوحِ،
منّي عليكِ السَّلام.

أحمل مُثُلي. وفي إمكاني المساعدة. لديّ ما يفيض عن حاجتي، فلماذا لا أساعد من أتمكّن من مساعدته؟!.

قال مبتسماً: هو كذلك. أنت لست إنساناً فريداً في هذا المجتمع.

قلت وقد غلبتني حجّته: أنا إنسان زاهد في الحياة، لا مسؤوليّة أمامي، ولا أسرة...

قاطعني قائلاً: مسؤوليّتك أكبر، الشّعب كلّه، أليس الأديب ضمير الأمّة كما تقولون؟!.

وجدت الفرصة سانحة لتقديم المساعدة له. أخرجتُ دفتر الشّيكات وسألته: يكفيك ألف دينار؟.

سأل باستغراب: لأيّ شيء؟.

قلت بحنان أبوي: كدفعة أولى لترتيب أمورك.

قال بإصرار: لا أحتاج شيئاً، دبّرت أموري، اشتغلت وجمعت المال الذي أريده.

قلت بالنّبرة الحنون نفسها: لا تكن عنيداً، سدّدْ لي المبلغ بعد التمكّن من جمعه.

قال بالإصرار ذاته: لم أطلب منك عوناً. لم أطلبه من أحد، لا أحتاج لمساعدة أحد، أنا قادر على تدبير شؤون أسرتي بذراعي.

بلغ درجة من الانفعال جعلتني أعيد دفتر الشّيكات إلى جيبي

د. عبد الكريم راضي جعفر

٣ ـ الصفصاف

كلّما مَرَّ بي، قلتُ: طينْ
أوقدَ الماءَ في جذوتِهْ
فأرتدىٰ معطفاً من غمام الشّتاءْ،
خُلّبِ البرقِ، لا ضوء، أو هبّة قاتلهْ
ترتدي نضحَ هذا الغناءِ الضنينْ
ما الّذي يُشعلُ اللّيلةَ، الماءَ والطينَ، والأنّةَ المورقهْ؟
كلّما مَرَّ بي..
زَمَّ نبضُ الهوىٰ مُقلَتَهْ
وأنزوىٰ في بقايا الشّذا
متعباً مثل رفّ النّدىٰ
«يا بقايا جنونِ الهوىٰ»
قلتُ: «يا متعباً يرتدي جلدَ قيس الملوّحِ
بالشّمس والرّملِ، والظبيةِ القاتلهْ
هُزَّ لي نَخلةً طَلْعُها حزنُ صفصافةٍ
أرتمِ شاهداً في مساءٍ حزين».
مَرَّ بي مسرعا،
مَرَّ بي،
وأمّحىٰ.

٤ ـ الدُّوار

يقولُ لوردِ البنفسجِ: سورٌ لوجهيَ يندقُّ
مستفرداً بالعِطاشْ
فينفطر الصّائمون جوًى..
يستشيط عذوقاً من الحزنِ، حلوِ التلفُّتِ،
محتفلٍ بالصَّدىٰ.
وحيداً يسائل عشتارَ
ـ كيف تكونُ السَّماءُ
ظلالَ هجيرٍ؟
ـ وكيف تجيئين مثخنةً بالنوار؟.
أقولُ لوردِ البنفسجِ:
بيني وبين افتضاضِ البكارهْ
دُوارٌ، فموتُ.
أليستْ مهاوي الثمارْ
يداً في الترابِ القريبِ،
ومحضَ إشارهْ؟

٥ ـ وحشة

للعصافير في اللّحظةِ الموحشهْ
رفّةٌ تستريحْ.
للعصافير أعشاشُها
في اللّيالي العصيّة والنّظرةِ المدهشهْ؛
غيرَ أنَّ الّذي أودعَ الحزنَ في مالكٍ
حفنةٌ من رمادٍ وريحْ.
ـ مالكٌ، بينك، الآنَ، والمنحنىٰ
غابةٌ من يمامْ
فانْتَبِهْ، مَرَّةً، إنَّ في سَوْرةِ الرُّوحِ والأسئلهْ
طائراً لا ينامْ.